



**الأبعاد الزمانية
في قصيدة المتنبي الكافية الأخيرة**

إعداد الدكتور

عمر بن بشير أحمد صديقي

كلية العلوم والآداب في عنيزة / جامعة القصيم







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأبعاد الزمانية في قصيدة المتنبي الكافية الأخيرة

عُمَرُ بْنُ بَشِيرٍ أَحْمَدَ صِدِّيقِي

تخصص الأدب والنقد، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم،
السودان.

البريد الإلكتروني: um.siddiqui@qu.edu.sa

المُلخَصُ :

يُقَوِّمُ هَذَا الْبَحْثُ عَلَى تَتَبُعِ الْأَبْعَادِ الزَّمَانِيَّةِ فِي قَصِيدَةِ الْمَتَنَّبِيِّ الْكَافِيَّةِ الْآخِرَةِ ، بِحَصْرِ الْأَعْيَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْمَقْدَّرَةِ فِيهَا ، مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَى مَا وَقَعَ فِي فِعْلِيَّتِهِ خِلَافَ بَيْنِ الشُّرَاحِ ، وَيَتَنَاوَلُ كَذَلِكَ دِلَالَاتِ الصَّيْغِ الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي عَدَلَ الْمَتَنَّبِيُّ إِلَيْهَا عَنْ غَيْرِهَا ، مَعَ مُرَاعَاةِ الْكَلِمَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالزَّمَنِ مِنْ غَيْرِ الْأَعْيَالِ ، وَالتَّطَرُّقِ إِلَى مَسْأَلَةِ الْحَرَكَةِ فِي الزَّمَنِ دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ أَسْهَمَ فِي تَكْوِينِ الدَّائِرَةِ الزَّمَانِيَّةِ الْمُتَكَامِلَةِ فِي الْقَصِيدَةِ . وَيَتَنَاوَلُ الْبَحْثُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالشَّرْحِ وَالتَّحْلِيلِ ، مُصَاحِبًا فِي تَنَاوُلِهِ الْأَثَرَ الْفَنِّيَّ وَالْجَمَالِيَّ لِهَذَا الْاِسْتِخْدَامِ عِنْدَ الْمَتَنَّبِيِّ ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِلْوُصُولِ إِلَى عُمُقِ الْمَعْنَى ، وَتَوْجِيهِ فَرَضِيَّةٍ يُتَبَجُّهَا التَّأَمُّلُ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْجُرْجَانِيُّ : « أَنْ تَعْقِلَ مِنَ اللَّفْظِ مَعْنَى ، ثُمَّ يُفْضِي بِكَ ذَلِكَ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ » (دلائل الإعجاز) .

الكلمات المفتاحية: المتنبي - الكافية - الصيغ الفعلية - الأبعاد الزمانية - العدول.





The temporal dimensions in the last adequate cafeteria poem

Umar bin Bashir Ahmed Siddiqui

**Major in Literature and Criticism, College of Graduate Studies,
Sudan University of Science and Technology, Khartoum, Sudan.**

Email: um.siddiqui@qu.edu.sa

Abstract:

This search to track dimensions Temporal in a poem Mutanabi sufficient latter, limiting acts phenomenon and assessed where, with the alarm on what happened in the Flath dispute between the commentators, and also addresses the implications of the actual formulas amended Mutanabi to all others, taking into account the related words in time of non-verbs And touching on the issue of movement in time within the poem, and all of that contributed to the formation of the integrated circle of time in the poem. The research deals with this whole explanation and analysis, accompanied in dealing with technical and aesthetic impact of this use when Mutanabi, in an attempt to reach a depth of meaning, and guide the hypothesis produced by meditation, as Imam Jerjani said: «The prudence of the meaning of word, then leads you that meaning to another meaning

Key words: Al-Mutanabbi - Adequacy - Actual Formulas - Time Dimensions - Adul.



نص القصيدة برواية الواحدي^(١)

قال أبو الطيب المتنبي يودّع عضد الدولة^(٢) في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة:

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | فَدَى لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ | فَلَا مَلِكَ إِذْنَ إِلَّا فَدَاكَ |
| ٢ | فَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مَنْ يُسَاوِي | دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَ |
| ٣ | وَأَمَّنَا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ | وَإِنْ كَانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مَلَاكَ |
| ٤ | وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُودًا | وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشُّبَاكَ |
| ٥ | وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ بِهِ كَرَاهٍ | وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالَ السُّكََاكَ ^(٣) |
| ٦ | فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ صَدِيقًا | لَقَدْ كَانَتْ خَلَايِقُهُمْ عِدَاكَ |
| ٧ | لَأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَبًا نَحِيفًا | إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِئْنَاكَ ^(٤) |
| ٨ | أَرْوَحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَيَّ فُؤَادِي | بِحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَ |

(١) القصيدة من الوافر، في ديوانه؛ الفسر ٢/ ٦٣٤، ومعجز أحمد ٤/ ٤١٠، وشرح الواحدي ٨٠٠، والتبيان ٣٩٤/ ٢، والصفوة ٢/ ٥٥١، وبعض أبياتها في: الفسر الصغير ١٠١، وقشر الفسر (المانع) ٢٢٢، وقشر الفسر (رجب) ٢٧٠، واللامع العزيمي (المولوي) ٢/ ٨٥٧، واللامع العزيمي (الفلاح) ١/ ٨٥١، والفتح على أبي الفتح ١٩٧، والصبح المنبي ١٦٦.

(٢) أبو شجاع فناخسرو بن الحسن ركن الدولة ابن بويه الديلمي، صاحب فارس والعراق، عرف بالشجاعة والبطش والفتك، وصنف له بعض العلماء، ومدحه الشعراء ومنهم المتنبي في آخر عمره، مات سنة ٣٧٢هـ. تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٤، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٧.

(٣) السُّكََاكُ: الجَوُّ.

(٤) الضَّنَاكُ: المرأة السَّوَيْبَةُ الممْتَلِئَةُ باللَّحْمِ.



- ٩ وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا
١٠ أَحَازِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَيَّ الْمَطَايَا
١١ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيمًا
١٢ فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ حَفَظْتُ طَرْفِي
١٣ وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِي
١٤ أَتَرَكُنِي وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِي
١٥ أَرَى أَسْفِي وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا
١٦ وَهَذَا الشُّوقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ
١٧ إِذَا التَّوَدَّيْعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي
١٨ وَلَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى
١٩ قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ
٢٠ فَاسْتُرْ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأُخْفِي
٢١ إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِدَادًا
٢٢ وَكَمْ دُونَ الثَّوَيَّةِ مِنْ حَزِينٍ
- فَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حَرَكََا
فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَ (١)
يُعِينُ عَلَيَّ الْإِقَامَةَ فِي ذِرَاكَ (٢)
فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَكََا
نَدَاكَ الْمَسْتَفِيضُ وَمَا كَفَاكََا
فَتَقَطَّعَ مَشِيَّتِي فِيهَا الشَّرَاكََا
فَكَيْفَ إِذَا عَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكََا (٣)
وَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكََا
عَلَيْكَ الصَّمْتُ لَا صَاخَبْتَ فَكََا
مُعَاوَدَةٌ لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكََا
وَأَقْتُلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكََا
هُمُومًا قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْعِرَاكََا
وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكََاكََا
يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بِنَاكََا (٤)



(١) سِوَاكَ: هَزَلَى ضَعِيفَةً .

(٢) الدَّرَا: الكَنْفُ والنَّاجِيَةُ .

(٣) الْإِبْتِرَاكُ: سُرْعَةُ السَّيْرِ .

(٤) الثَّوَيَّةُ: مَكَانٌ بِالْكُوفَةِ .



- ٢٣ وَمِنْ عَذَبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْخَا يُقْبَلُ رَحْلَ تَرُوكَ وَالْوِرَاكَا^(١)
- ٢٤ يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبَقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَا^(٢)
- ٢٥ وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالْأَرَاكَا^(٣)
- ٢٦ يُحَدِّثُ مُقَلَّتِيهِ النَّوْمَ عَنِّي فَلَيْتَ النَّوْمِ حَدَّثَ عَن نَدَاكَا
- ٢٧ وَأَنَّ الْبُودْنَ لَا يُعْرِقَنَّ إِلَّا وَقَدْ أَنْصَى الْعُذَافِرَةَ اللَّكَاكَا^(٤)
- ٢٨ وَمَا أَرْضَى لِمُقَلَّتِيهِ بِحُلْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكَا^(٥)
- ٢٩ وَلَا إِلَّا بِأَنْ يُصْغِي وَأَحْكِي فَلَيْتَكَ لَا يُتِيَّمُهُ هُوَاكَا
- ٣٠ وَكَمْ طَرِبَ الْمَسَامِعِ لَيْسَ يَدْرِي أَيْعَجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ عُلاكََا
- ٣١ وَذَاكَ النَّشْرُ عَرِضُكَ كَانَ مَسْكًَا وَهَذَا الشُّعْرُ فَهْرِي وَالْمَدَاكَا^(٦)
- ٣٢ فَلَا تَحْمَدُهُمَا وَاحْمَدَهُمَا إِذَا لَمْ يُسَمِّ حَامِدُهُ عَنَاكََا
- ٣٣ أَغْرَلَهُ شَمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ غَدًّا يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَاكََا
- ٣٤ وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصُّ بِوَجْدٍ وَآخِرُ يَدْعِي مَعَهُ اشْتِرَاكََا

(١) تَرُوكَ : اسمُ نَاقَةٍ حَمَلَةٌ عَلَيهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ .

(٢) صَاكَ الشِّيءُ بِالشِّيءِ إِذَا لَصِقَ بِهِ .

(٣) الْبَشَامَةُ وَالْأَرَاكُ : شَجَرَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ .

(٤) يُعْرِقَنَّ : يَأْتِيَنَّ الْعِرَاقَ . وَالْعُذَافِرَةُ : النَّاقَةُ الشَّدِيدَةُ . وَاللَّكَاكُ : الْمَكْتَنِزَةُ مِنَ اللَّحْمِ .

(٥) الْابْتِشَاكُ : الْكَذِبُ .

(٦) الْفَهْرُ : الْحَجَرُ الَّذِي يُسْحَقُ بِهِ الطَّيِّبُ . وَالْمَدَاكُ : مَا يُسْحَقُ عَلَيْهِ .



- ٣٥ إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودِ
تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى
٣٦ أَدَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِي شُجَاعِ
لِعَيْنِي مِنْ نَوَايَ عَلَى أُوْلَاكَا
٣٧ فَزُلْ يَا بَعْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابِ
لَهَا وَقَعُ الْأَسِنَّةُ فِي حَشَاكَا
٣٨ وَأَيَّ شَيْءٍ يَا طَرْقِي فَكُونِي
أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَا
٣٩ فَلَوْ سَرْنَا وَفِي تَشْرِينَ خَمْسُ
رَأُونِي قَبْلَ أَنْ يَرَوْا السَّمَاكَا
٤٠ يُشَرِّدُ يَمُنُّ فَنَّاخُسِرَ عَنِّي
قَنَا الْأَعْدَاءِ وَالطَّعَنَ الدَّرَاكَا
٤١ وَالْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقِي
سَلَاحًا يَذَعُرُ الْأَبْطَالَ شَاكَا
٤٢ وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا
وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَا
٤٣ وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءِ
يُعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَا
٤٤ حَيِّي مِنْ إِلَهِي أَنْ يَرَانِي
وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَأَصْطَفَاكَا



التمهيد

« الزَّمانُ ظَرْفُ الأفعالِ ، وإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ شَيْئاً مِنْ أفعالِنَا لا يَقَعُ إِلا فِي مَكَانٍ وإِلا فِي زَمانٍ ، وهما الميقاتُ »^(١) ، وَمِنَ المَعْلُومِ لِدارِسي الأَدبِ أَثَرُ دِرَاسَةِ الزَّمانِ فِي النِّصِّ الأَدبِيِّ ، وَمَا تَكشِفُهُ مِنْ مَكْنُوناتِ التَّعبيرِ الَّتِي يُقَدِّمُها النِّصُّ ، وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ فِي دِرَاسَةِ الأفعالِ بِصِغَها المِخْتَلِفَةِ وَحُضُورِها فِي النِّصِّ ، إِضافةً إِلى التَّنبُّهِ لِكُلِّ ما يَحْمِلُ دِلالاتٍ زَمانِيَّةً تُكَوِّنُ مَعَ عُمُومِ السِّياقِ بَعْدًا مَعنَوِيًّا مُهِمًّا يَتَعَلَّقُ بِالزَّمانِ ، وَتُمْكِنُ مِنْ « اسْتِكانِها هِذِهِ الدِّلالاتِ وإِدراكِ تَجاوُزِها بَعْضِها مَعَ البَعْضِ الأَخرِ ، وَالتَّدْرُجِ بَينِها أَوْ الِانْتِقالِ مِنْ حالَةٍ زَمانِيَّةٍ إِلى أُخرى ، حَتَّى تُفْصِحَ عَن ذاتِ نَفْسِها ، وَتَكشِفَ عَن دورِها فِي بِناءِ القَصِيدَةِ كُُلِّها »^(٢) ، « وَلِهَذا يَكْتَسِبُ الزَّمانُ - فِي النِّصِّ الأَدبِيِّ - بَعْدًا فَنِيًّا يَنْطَوِي عَلى قِيمَةٍ وَمَعنى »^(٣) .

وَالمِتنَبِيُّ كانَ « يُجسِّدُ وَعِيَهُ بِالزَّمانِ مِنْ خِلالِ أَسايبِ الكَشْفِ عَن مَظاهِرِ الواقِعِ الاجْتِماعِيِّ فِي عَصرِهِ »^(٤) ، « وَمِنْ خِلالِ تَأَمُّلاتِهِ فِي الوُجُودِ ، وَنَعَماتِهِ المِستَوَحدَةِ وَالشَّجِيَّةِ النَّبِيِّ يُزاوِجُ فِيها بَينَ الحُزَنِ وَالإِحباطِ الشَّخْصِيِّ لِرَغَباتِهِ »^(٥) .

وَقد تَناءَلَ المِتنَبِيُّ مُعاناتِهِ ، وَخَتامَ حَياتِهِ فِي قَصِيدَتِهِ الكافيةِ الأَخيرَةِ ، بِمُستَوِياتِ أَداءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، رَواحَ فِيها بَينَ التَّصريحِ وَالتَّلْميحِ وَالإِشارةِ وَالقَصِدِ ، مُستَخدِمًا فِي ذَلِكَ ما تَمَنَّحَهُ إِياهُ لُغَتُهُ العالِيَةُ ، وَقَدْرَتُهُ الفَنِيَّةُ البَديعَةُ بِتَوظيفِ الكَلِماتِ المِخْتَلِفَةِ وَمَنحِها لِباسَ قَصدِهِ الخَاصِّ .

(١) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٣٩ .

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر ٣٨ .

(٣) حيدر لازم مطلق ، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي ٢٢ .

(٤) المرجع السابق ٣٠ .

(٥) حاتم محمد ، أبعاد عصرية في شعر المتنبي ، مجلة آفاق عربية ، عدد ٣ ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٤٧ .



وَذَكَرَ شُرَاحُ الدِّيَوَانِ أَنَّهُ تَطَيَّرَ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ مِنْهَا ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ جَنِّي : « وَهِيَ آخِرُ مَا سَارَ مِنْ شَعْرِهِ ، وَفِي أَضْعَافِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كَلَامٌ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ كَأَنَّهُ يَنْعَى فِيهِ نَفْسَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ » (١) ، وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : « وَهِيَ آخِرُ مَا قَالَهُ ، وَتَطَيَّرَ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهَا » (٢) ، وَلَصِدَقَ عَاطِفَةُ الْمَتَنِّيِّ فِيهَا اِكْتَسَبَتْ أَثْرًا فِي نُفُوسِ الْمَتَلِّقِينَ ، وَبِخَاصَّةٍ فِيمَا يَخُصُّ مَعْنَى الْوَدَاعِ ، وَلِذَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ عَنْ بَعْضِ أَبِيَاتِهَا : « وَهِيَ مِنْ مَحَاسِنِ مَا يُؤْتَى بِهِ فِي مَعْنَى الْوَدَاعِ ، وَلَمْ يَأْتِ لِغَيْرِهِ مِثْلُهَا » (٣) .



وَالْمَتَامَلُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يُدْرِكُ حَقِيقَةَ أَنَّ الْمَتَنِّيَّ لَمْ يَقْلُهَا فِي رَحِيلِهِ عَن عَضُدِ الدَّوْلَةِ فَحَسَبُ ، وَإِنَّمَا قَالَهَا فِي رَحِيلِهِ عَنِ الْحَيَاةِ ، وَلَعَلَّ هَذَا مِنْ سِرِّ تَشَاؤُمِهِ تَجَاهَ أَيَّامِهِ الْقَادِمَةِ (٤) .

وَذَاكَ يَعْكِسُ كَوْنَ الْقَصِيدَةِ قَامَتْ عَلَى زَمَانِينَ ؛ زَمَانٍ قَوْلِهَا الْمَتَضَمَّنِ لِلْأَفْعَالِ وَعَامَّةِ الْكَلِمَاتِ الْمُسْتَحْدَمَةِ فِي مُخْتَلَفِ الصَّبْغِ وَالذَّلَالَاتِ ، وَزَمَانٍ غَايَتِهَا أَوْ غَايَةِ بَعْضِهَا وَهُوَ الْاسْتِقْبَالُ ؛ ذَلِكَ أَنَّ التَّطَيَّرَ تَرَقَّبٌ لِحُدُوثِ مَكْرُوهٍ يَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

وَقَدْ رَغِبْتُ فِي أَنْ أَتَلَمَّسَ جَانِبَ الْأَبْعَادِ الزَّمَانِيَّةِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَتَنَاوُلَاتِهَا عِنْدَ الْمَتَنِّيِّ ، مُحَاوِلًا الْوُصُولَ إِلَى الْأَثْرِ الدَّلَالِيِّ وَالْعُمُقِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْبُعْدِ الْفَنِّيِّ لِهَذَا الْجَانِبِ ، وَذَلِكَ بِتَتَبُعِ الْعُنَاوَرِ التَّالِيَةِ :

(١) الفسر ٢ / ٦٣٤ ، ومثله قال أبو العلاء والعكبري ؛ ينظر : معجز أحمد ٤ / ٤١٠ والبيان ٢ / ٣٩٤ .

(٢) شرح الواحدي ٨٠٠ .

(٣) المثل السائر ٢ / ٢٨٥ .

(٤) ينظر : إبراهيم البطشان ، كافيّة المتنبّي الأخيرة وإشارات تنبؤ بالرحيل ، مجلة عالم الكتب ، المجلد ٢٨ ،

١- الأفعال الظاهرة وما في حكمها .

٢- الأفعال المقدّرة ، وسأتناول فيها مسألة تقدير القائل .

٣- أثر الصياغة في تشكّل المعنى .

٤- كلمات لها علاقة بالزمان .

٥- الحركة في الزمن .

١- الأفعال الظاهرة وما في حكمها :

١ / ١ جاءت هذه القصيدة في أربعة وأربعين بيتاً ، وهذا مبلغٌ متوسطٌ قصائد المتنبّي الطوال ؛ فلم يتجاوز هذا العدد من الأبيات إلا قليلاً .

وقد كان للأفعالِ بِخاصّةٍ حضورٌ ظاهرٌ في هذه القصيدة ؛ فلم يخلُ بيتٌ فيها من فعلٍ أو اثنين إلى أربعة أفعالٍ ، وبلغت الأفعال الصريحة الظاهرة فيها منةً وأربعة أفعالٍ ، وهو عددٌ يكشفُ شيئاً من حضورِ الزمانِ الكثيفِ فيها .

ووردت كلمتان اختلف الشراح حول فعليتهما ، وأولاهما (فداكا) في البيت الأول :

فَدَى لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكَ إِذْنَ إِلَّا فِدَاكَ

فقد رويت الكلمة (فداكا) بفتح الفاء عند عموم الشراح كابن جنّي وغيره^(١) ، وعليها تكونُ

(١) ينظر : الفسر ٢ / ٦٣٤ ، ومعجز أحمد ٤ / ٤١٠ ، وشرح الواحدي ٨٠٠ ، والتبيان ٢ / ٣٩٤ ، والصفوة

(ونصّ الشارح على أنه فعل ماضٍ) ٢ / ٥٥١ ، واللامع العريزي (المولوي) ٢ / ٨٥٧ ، واللامع العريزي (الفلاح)

١ / ٨٥١ ، والصبح المنبّي ١٦٦ .



فِعْلًا مَاضِيًا ، بَلْ يَرَى الْوَاحِدِيُّ أَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا كَذَلِكَ ؛ يَقُولُ : « وَقَوْلُهُ (إِلَّا فِدَاكَ) لَا يَجُوزُ فِيهِ إِلَّا فَتَحُ الْفَاءِ لِأَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ » (١) .

وَضَبَطَهَا بَعْضُ الدَّارِسِينَ (فِدَاكَ) بِكَسْرِ الْفَاءِ (٢) ، وَعَلَيْهَا تَكُونُ اسْمًا .

وَالكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ (اصْطَفَاكَ) فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ :

حَيِّ مِنْ إِلَهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَاصْطَفَاكَ

فَقَدْ رَوَاهَا الْوَاحِدِيُّ وَتَبِعَهُ الْأَكْثَرِيُّ (اصْطَفَاكَ) بِفَتْحِ الطَّاءِ (٣) ، فَتَكُونُ فِعْلًا مَاضِيًا ، أَمَا ابْنُ جَنِّي فَقَدْ رَوَاهَا بِكَسْرِ الطَّاءِ (٤) ، وَتَبِعَهُ صَاحِبُ التَّبْيَانِ (٥) ، وَقَدْ عَلَّقَ الْوَاحِدِيُّ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ جَنِّي بِقَوْلِهِ : « رَوَى ابْنُ جَنِّي : وَاصْطَفَاكَ - بِكَسْرِ الطَّاءِ - ، قَالَ : الْاصْطِفَاءُ مَمْدُودٌ فَقَصَرَهُ ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِأَحَدِ عَشَرَ بَيْتًا ، كُلُّهُ مُسْتَعْنَى عَنْهُ ؛ لِأَنَّ قَصْرَ الْمَمْدُودِ فِي الشَّعْرِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ فِيهِ إِلَى ذِكْرِ الشُّوَاهِدِ ، وَأَنْكَرَ ابْنُ فُورَجَةَ هَذِهِ الرَّوَايَةَ (٦) ، وَرَوَاهُ مَفْتُوحَ الطَّاءِ عَلَى الْفِعْلِ وَقَالَ : لِمَ يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا فَارَقَ دَارَهُ وَاخْتَارَهُ إِتَاءَهُ - أَعْنِي اخْتِيَارَ الْمَمْدُوحِ لِلْمُنْتَبِي - ؟ بَلْ لَا وَجْهَ لِحَيَائِهِ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ ؛ إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ فَارَقَهُ وَزَهَدَ فِي اخْتِيَارِهِ إِتَاءَهُ ارْتِكَبَ حُوبًا ، وَإِنَّمَا

(١) شرح الواحدي ٨٠٠ .

(٢) ينظر : الفسر الصغير ١٠١ ، وقشر الفسر (المانع) ٢٢٢ - بضبط المحقق في الكتابين - ، أما الدكتور /

رجب في القشر فقد ضبطها بالفتح على رواية الأكثرية ، ينظر : قشر الفسر (رجب) ٢٧٠ .

(٣) ينظر : معجز أحمد ٤/٤٢٤ ، وشرح الواحدي ٨٠٦ ، والصفوة ٢/٥٦٠ ، واللامع العزيزي

(المولوي) ٢/٨٦٥ ، واللامع العزيزي (الفلاح) ١/٨٦٠ .

(٤) ينظر : الفسر ٢/٦٥٥ .

(٥) ينظر : التبيان ٢/٤٠٥ .

(٦) ينظر : الفتح على أبي الفتح ٢٠١ .



يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا فَارَقَ دَارَ الْمَمْدُوحِ وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ عَلَى خَلْقِهِ « (١) ،
وَلِأَبِي الْعَلَاءِ تَعْلِيْقٌ لَطِيفٌ عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ جَنِّي بِقَوْلِهِ : « وَالْأَشْبَهُ بِأَبِي الطَّيِّبِ أَنْ يَكُونَ قَالَ :
وَاصْطَفَاكَ - وَهُوَ يُرِيدُ فِعْلًا مَاضِيًا - كَأَنَّهُ قَالَ : وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَقَدْ اصْطَفَاكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ » (٢) .

١ / ٢ - وَرَدَ فِي الْقَصِيدَةِ اسْمُ فِعْلٍ وَاحِدٍ لِلْأَمْرِ ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ السَّابِعِ عَشَرَ :

إِذَا التَّوَدِّيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتَ لَا صَاحِبَتَ فَاكَا

وَجَاءَ بِهِ الْمَتَنَّبِيُّ مُؤَدِّيًا لِحَفِيٍّ مَعْنَى أَرَادَهُ ، إِذْ لَوْ سَلَكَ بِهِ هُنَا مَسَلَكَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الصَّرِيحَةِ لَمَا
بَلَغَ بِالْمَعْنَى دَقِيقَ مُرَادِهِ ؛ ذَاكَ أَنَّهُ قَصَدَ مِنْهُ كَشْفَ جَانِبٍ مِنْ حِكَايَةِ حَالِ الْقَلْبِ الْمَبِينَةِ لِلانْفِعَالِ
الْمَبَاشِرِ عِنْدَ ظُهُورِ بَوَادِرِ التَّوَدِّيعِ .

١ / ٣ - وَقَدْ كَانَ لِلْفِعْلِ التَّامِّ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ بِالِاسْتِخْدَامِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَلَمْ يَأْتِ مِنَ النَّاقِصِ إِلَّا
فِعْلَانِ فِي ثَمَانِيَةِ مَوَاضِعَ ؛ جَاءَتْ (كَانَ) فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ مِنْهَا ، سِتَّةٌ بِلَفْظِ الْمَاضِي فِي أَرْبَعَةِ
أَبْيَاتٍ ، هِيَ :

وَأَمَّنَّا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وَلَوْ كَانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مَلَكَ
فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ صَدِيقًا لَقَدْ كَانَتْ خَلَاتِقُهُمْ عِدَاكَ
إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَازًا
وَذَاكَ النَّشْرُ عَرِضُكَ كَانَ مِسْكًَا وَهَذَا الشُّعْرُ فَهْرِي وَالْمَدَاكَ

وَمَرَّةً وَاحِدَةً بِلَفْظِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ :

(١) شرح الواحدي ٨٠٦-٨٠٧ .

(٢) اللامع العزيمي (المولوي) ٨٦٦/٢ ، (الفلاح) ٨٦٠/١ .



وَأَيَّاشِئْتِ يَا طُرُقِي فُكُونِي أذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَكَامَا

وَأَمَّا الْفِعْلُ النَّاقِصُ الْآخِرُ فَهُوَ (لَيْسَ) ، وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَوْلِهِ :

وَكَمْ طَرِبَ الْمَسَامِعَ لَيْسَ يَدْرِي أَيَعَجَبُ مِنْ تَنَائِي أَمْ عَلَكَامَا

وَلَعَلَّ فِي الْإِسْتِخْدَامِ الْكَثِيرِ لِلْفِعْلِ التَّامِّ إِحْيَاءٌ بِتَمَامِ مُقَامِهِ فِي الدُّنْيَا وَعَزْمُهُ عَلَى الرَّحِيلِ عَنْهَا ، وَلِذَا لَمْ يَأْتِ مِنْ النَّاقِصِ إِلَّا بِالْقَلِيلِ جِدًّا ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْمَضِيُّ إِشَارَةً إِلَى الْفَوَاتِ .

١ / ٤ - وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ تَقْسِيمُ الْأَفْعَالِ حَسَبَ الْأَزْمِنَةِ النَّحْوِيَّةِ فَقَدْ كَانَ الْمَاضِي أَكْثَرَهَا وُرُودًا ؛ إِذْ جَاءَ فِي سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ فِعْلًا ، وَأَمَّا الْمَضَارِعُ فَفِي خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ فِعْلًا ، وَأَقْلَبُهَا الْأَمْرُ فِي ثَلَاثَةِ أَفْعَالٍ فَحَسَبُ ، وَبَيَانُهَا كَالآتِي :



البيت	الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر
١	فَدَاكَ	يُقَصِّرُ	
٢	قُلْنَا دَعَوْنَا	يُسَاوِي	قَلَاكَ
٣	آمَنَّا كَانَتْ		
٤	نَثَرَ	يَظُنُّ يَنْصِبُ	
٥	بَلَغَ بَلَغَتْ		
٦	كَانَتْ كَانَتْ		
٧	أَبْصَرَتْ		
٨	خَتَمَتْ	أَرْوَحُ يَحُلُّ	
٩	حَمَلْتَنِي	أَطِيقُ	
١٠		أَحَازِرُ يَشُقُّ تَمْشِي	

البيت	الفعل الماضي		الفعل المضارع		فعل الأمر
١١			يَجْعَلُهُ	يُعِينُ	
١٢	اسْتَطَعْتُ	خَفَضْتُ	أُبْصِرُ	أَرَاكَ	
١٣	كَفَانِي	كَفَاكَ			
١٤			تَتْرُكُنِي	فَتَقَطَعَ	
١٥	سِرْنَا	غَدَا	أَرَى		
١٦	ضُرِبْتُ	أَحَاكَ			
١٧	أَعْرَضَ	قَالَ	صَاحِبَتِ		
١٨	تَمَنَّى	قُلْتُ			
١٩	اسْتَشْفَيْتَ	أَعْلَكَ	شَفَاكَ		
٢٠	أَطَلْتُ		أَسْتُرُ	أُخْفِي	
٢١	عَاصَيْتُهَا	كَانَتْ	طَاوَعْتُهَا	كَانَتْ	
٢٢			يَقُولُ		
٢٣	أَنَحْنَا		يُقَبِّلُ		
٢٤	عَبَقَ	صَاكَ	يُحَرِّمُ	يَمَسُّ	
٢٥			يَمْنَعُ	يَمْنَحُهُ	
٢٦	حَدَّثَ		يُحَدِّثُ		
٢٧	أَنْضَى		يُعْرِقَنَ		
٢٨	انْتَبَهَتْ	تَوَهَّمَهُ	أَرْضَى		
٢٩			يُصْنَعِي	أَحْكِي	يُنِيمُهُ
٣٠	لَيْسَ		يَدْرِي	يَعْجَبُ	

البيت	الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر
٣١	كَانَ		
٣٢		تَحْمَدُهُمَا	يُسَمِّ
٣٣		يَلْقَى	
٣٤		يَدْعِي	
٣٥	اشْتَبَهَتْ	تَبَيَّنَ	بَكَى
٣٦	أَذَمَّتْ		تَبَاكَى
٣٧			زُلْ
٣٨	شَتَّتْ		كُونِي
٣٩	سِرْنَا	رَأَوْنِي	يَرَوْا
٤٠			يُشَرِّدُ
٤١		أَلْبَسُ	يَذَعُرُ
٤٢	افْتَرَقْنَا	مَا خَلَاكَ	أَعْتَاضُ
٤٣		يَعُودُ	يَجِدُ
٤٤	فَارَقْتُ	اصْطَفَاكَ	يَرَانِي

وَالْمَاضِي يُفِيدُ تَحَقُّقَ وُقُوعِ الْمُقْصُودِ فِي السِّيَاقِ الْوَارِدِ فِيهَا ، إِعْمَانًا مِنَ الْمُتَنَبِّي فِي تَزَكِيَةِ السِّيَاقِ وَفَقَ مَشِيئَتِهِ الْفَنِيَّةِ ، كَمَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي -عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ - :

فَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَ

فَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَفْعَالٍ مَاضِيَّةٍ وَفِعْلٌ مُضَارِعٌ وَاحِدٌ ، جَاءَ أَوَّلُ الْأَفْعَالِ الْمَاضِيَّةِ وَثَانِيهَا (قُلْنَا ، دَعَوْنَا) بَعْدَ (لَوْ) مُتَعَلِّقِينَ بِهَا ، فَاِمْتَنَعَ الدُّعَاءُ بِالْبَقَاءِ لِمُبْعُضٍ مَمْدُوحِهِ لِامْتِنَاعِ قَوْلِهِ : فِدَى لَهُ مَنْ يُسَاوِيهِ

وَلَا أَحَدٌ يُسَاوِيهِ فِي نَظَرِهِ ، وَإِفَادَةُ الْمَاضِي هُنَا ظَاهِرَةٌ فِي تَأْكِيدِ الْمَدْحِ ، فَلَا مَجَالَ لِلتَّرَدُّدِ أَوْ الشُّكِّ
الَّذِي قَدْ يَرُدُّ تَوَقُّعُهُ لَوْ جَاءَ بِصِغَةِ أُخْرَى غَيْرِ الْفِعْلِ الْمَاضِي . وَأَمَّا الْفِعْلُ الثَّلَاثُ فَهُوَ (قَلَاكَا)
وَيَعَكِّسُ سُنَّةَ الْحَيَاةِ فِي التَّنَافُسِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ ذَوِي الشَّانِ الْمُتَشَابِهِ ، مَعَ تَضْمِينِ مَعْنَى
كَثْرَةِ حُسَادِ عَضْدِ الدَّوْلَةِ الَّذِي نَالَ شَطْرًا مِنْ وِلَايَتِهِ بِالْحَرْبِ وَالْبَأْسِ بَعْدَ ذَلِكَ ^(١) .

وَفِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ جَاءَ الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ (يُسَاوِي) قَابِلًا لِنَفْيِ الْمَعْنَى الْمُمْكِنِ وَرُودُهُ فِي النَّفْسِ ؛
إِذْ لَوْ جَاءَ بِصِغَةِ الْمَاضِي لَكَانَ فِيهِ شَبَهُ إِثْبَاتٍ لِمَا نَفَاهُ السِّيَاقُ مِنْ وُجُودِ الْمَسَاوِي .

وَمِنَ الْمَضَارِعِ مَا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ الْاسْتِقْبَالِ ، كَالْمَسْبُوقِ بِلَا النَّاهِيَةِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ :

فَلَا تَحْمَدُهُمَا وَاحْمَدُهُمَا إِذَا لَمْ يُسَمِّ حَامِدُهُ عَنَاكَ

إِذِ النَّهْيُ يَفْتَضِي الْإِمْتِنَاعَ عَنِ الْفِعْلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ^(٢) ، وَأَمَّا الْمَسْبُوقُ بِلَمْ فَيَتَحَوَّلُ مَعْنَاهُ لِلْمَاضِي ^(٣) ،
وَبِذَا يُشْكَلُ الْفِعْلَانِ فِي الْبَيْتِ دَائِرَةٌ زَمَانِيَّةٌ مُغْلَقَةٌ يَتَعَلَّقُ مُسْتَقْبَلُهَا بِمَاضِيهَا فِي صُورَةِ الْمَعْنَى
الْمُسْتَمِرِّ .

وَأَمَّا فِعْلُ الْأَمْرِ فَهُوَ أَقْلُ الْأَفْعَالِ وَرُودًا - كَمَا ذَكَرْتُ - ؛ وَمِنْ أَمْثَلَيْهِ قَوْلُهُ :

فَزُلْ يَا بُعْدَ عَنِ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقَعُ الْأَسِنَّةِ فِي حَشَاكَ

وَلَمْ يَأْتِ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِعْلٌ غَيْرُ فِعْلِ الْأَمْرِ هَذَا (زُلْ) ، وَتَصَدَّرَ السِّيَاقُ مُدْلَأًا بِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ نَمَطٍ
خَاصٍّ فِي تَكْوِينِ الْمَعْنَى ؛ حَيْثُ اسْتُخْدِمَ الْمُتَنَبِّيُّ أَسْلُوبَ الْاسْتِعَارَةِ فِي مُخَاطَبَتِهِ لِلْبُعْدِ بِفِعْلِ

(١) للاستزادة حول خبره ينظر : الكامل في التاريخ ٢٧/٧ ، البداية والنهاية ٣١٩/١١ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ٣٢٢ .

(٣) ينظر : شرح المفصل ٢٦٣/٤ .



الأمرِ مِمَّا يَعْنِي تَمَكُّنُهُ فِي الْمَحْسُوسَاتِ ، وَهُوَ مَا يُنَاسِبُ سِيَاقَ حَالِهِ ، وَاقْتَضَى ذَلِكَ الْأَسْلُوبُ التَّشْخِصَ « وَكَأَنَّ الْبُعْدَ لَهُ أُذُنٌ يَسْمَعُ بِهَا » (١) ، وَتِلْكَ مِنْ مِيزَاتِ الْاسْتِعَارَةِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ : « إِنْ شِئْتَ أَرْتَكِ الْمَعَانِي اللَّطِيفَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ حَبَايَا الْعَقْلِ كَأَنَّهَا قَدْ جُسِّمَتْ حَتَّى رَأَتْهَا الْعُيُونُ » (٢) .

وَالِإِلَى كُلِّ مَا أَسْلَفْتُ ذِكْرَهُ حَوْلَ أَنْوَاعِ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْمُتَنَبِّي فِي قَصِيدَتِهِ فَثَمَّةَ فِعْلٌ يَكْشِفُ التَّصَرُّفَ الْكَامِنَ فِي طَبِيعَةِ الْمُتَنَبِّي بِاللُّغَةِ ، وَهُوَ تَصَرُّفٌ يُبَيِّنُ تَمَكُّنًا وَاسْتِقْرَارًا فِي التَّنَاوُلِ وَالْأَدَاءِ ، وَالْفِعْلُ هُوَ (يُعْرِقَنَّ) فِي الْبَيْتِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ :

وَأَنَّ الْبُودْنَ لَا يُعْرِقَنَّ إِلَّا وَقَدْ أَنْضَى الْعُذْفِرَةَ اللَّكَاكََا

وَلَعَلَّهُ اعْتَاضَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عَنِ التَّطْوِيلِ ، وَأَرَادَ اخْتِصَارَ الْمَسَافَةِ الْمَكَانِيَّةِ وَالزَّمَانِيَّةِ فِي نَفْسِهِ بَيَانًا لَشَوْقِهِ الَّذِي أَلْمَحَ إِلَيْهِ فِي الْأَبْيَاتِ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَكَمْ دُونَ الثَّوَيَّةِ مِنْ حَزِينٍ يُقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بِنْدَاكََا
وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْخَنَا يُقَبَّلُ رَحْلَ ثُرُوكَ وَالْوِرَاكََا
يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَيْرُ بِهِ وَصَاكََا
وَيَمْنَعُ نَعْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبِّ وَيَمْنَحُهُ الْبِشَامَةَ وَالْأَرَاكََا
يُحَدِّثُ مُقَلَّتَيْهِ النَّوْمَ عَنِّي فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَن نَدَاكََا

(١) إبراهيم البطشان ، كافيّة المتنبّي الأخيرة وإشارات تنبؤ بالرحيل ٥٥٣ .

(٢) أسرار البلاغة ٤٣ .



٢- الأفعال المقدرة ، وفيها مسألة تقدير القائل :

في البيتين الثامن عشر والتاسع والعشرين :

وَلَوْلَا أَنْ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةً لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكَ
وَلَا إِلَّا بِأَنْ يُصْنِعِي وَأَحْكِي فَلَيْتَكَ لَا يُتِيْمُهُ هَوَاكَ

قال ابن الأثير : « فقولهُ (وَلَا مُنَاكَ) فِيهِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : وَلَا صَاحِبَتَ مُنَاكَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ (وَلَا إِلَّا بِأَنْ يُصْنِعِي وَأَحْكِي) فَإِنَّ فِيهِ مَحْذُوفًا تَقْدِيرُهُ : وَلَا أَرْضَى إِلَّا بِأَنْ يُصْنِعِي وَأَحْكِي » (١) .

وَمِثْلُ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ الْحَادِي وَالثَّلَاثِينَ :

وَذَاكَ النَّشْرُ عَرْضُكَ كَانَ مِسْكًَا وَهَذَا الشُّعْرُ فَهْرِي وَالمَدَاكَ

فالتقدير : كَانَ فَهْرِي وَالمَدَاكَ ؛ فَلَمَّا نَصَبَ (المداكا) تَبَيَّنَ أَنَّهُ أَضْمَرَ (كَانَ) هُنَا .

وَكَذَلِكَ الْبَيْتُ الْأَخِيرُ :

حَيِّي مِّنْ إِلَهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَأَصْطَفَاكَ

فَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْعَلَاءِ (حَيِّيًّا) بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ ؛ « أَي : أَرْجِعْ وَأَنَا أَسْتَحِي مِنْ إِلَهِي أَنْ يَرَانِي فَارَقْتُ دَارَكَ وَأَنْتَ صَفْوَتُهُ » (٢) .

وَأَمَّا تَقْدِيرُ الْقَائِلِ فَمَسْأَلَةٌ لَطِيفَةٌ ، تَنَبَّهَ لَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ، وَهِيَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْفِعْلِ وَتَأْثِيرِهِ فِي

(١) المثل السائر ٢ / ٢٨٥ .

(٢) معجز أحمد ٤ / ٤٢٤ .

المعنى، ومثال ذلك البيت التاسع عشر :

قَدِ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ وَأَقْتَلُ مَا أَعْلَكَ مَا شَفَاكَ

فَقَدِ اخْتَلَفَ الشُّرَاحُ حَوْلَ الْقَائِلِ (قَدِ اسْتَشْفَيْتَ) ، فَمَثَلُهُ يَرَوْنَ أَنَّهُ الشَّاعِرُ ؛ قَالَ ابْنُ جَنِّي : « أَيَّ أَضْمَرْتَ يَا قَلْبُ شَوْقًا إِلَى أَهْلِكَ » (١) ، وَمِثْلُهُ قَالَ الْوَاحِدِيُّ : « يَقُولُ لِقَلْبِهِ اسْتَشْفَيْتَ » (٢) ، أَمَّا أَبُو الْعَلَاءِ فَيَرَى أَنَّ الْقَائِلَ قَلْبُهُ ؛ يَقُولُ : « قَالَ قَلْبِي : تَدَاوَيْتَ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى أَهْلِكَ بِفِرَاقِ عَضُدِ الدَّوَلَةِ » (٣) ، وَقَالَ ابْنُ فُورَجَةَ : « هَذَا قَوْلٌ قَلْبِهِ لَهُ » (٤) ، فَقَدِ اخْتَلَفُوا حَوْلَ الْقَائِلِ بَيْنَ الْمَتَنِيِّ وَقَلْبِهِ ، فَأَيُّهُمَا كَانَ الْقَائِلَ فَهُوَ الْأَرْجَحُ فِي كَيْفَةِ التَّرْوِيِّ وَالتَّعَقُّلِ ، وَالْآخِرُ حُكْمُهُ حُكْمُ الْمَضْطَرِّ إِلَى فِعْلِهِ لَا يَدْرِي مَا يَفْعَلُ ، وَهَذَا فِيهِ جَانِبُ الْحَوَارِ الدَّائِيِّ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَقَلْبِهِ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ الْاضْطِرَابَ الَّذِي انْتَابَ الْمَتَنِيَّ عِنْدَ الرَّجُلِ .

٣- أنثر الصياغة في تشكل المعنى :

وَفِيهِ تَطَهَّرَ دَقَّةَ الْمَتَنِيِّ فِي اسْتِخْدَامِ بَعْضِ الصَّبِغِ دُونَ أُخْرَى مِنَ الْمَادَّةِ نَفْسِهَا ، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ اسْتِخْدَامِهِ صِبْغَةَ الْمَفَاعَلَةِ (عَاصَيْتُهَا ، طَاوَعْتُهَا) فِي الْبَيْتِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ :

إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَامًا

فَصِبْغَةُ الْمَفَاعَلَةِ تَأْتِي لِعِدَّةٍ مَعَانٍ مِنْهَا الْإِشْتِرَاكُ « لِأَنَّ بَابَ الْمَفَاعَلَةِ يَكُونُ مِنْ اثْنَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

(١) الفسر ٢/ ٦٤٣ .

(٢) شرح الواحدي ٨٠٢ .

(٣) معجم أحمد ٤/ ٤١٦ ، ونحوه في اللامع العزيمي (المولوي) ٢/ ٨٦٢ ، (الفلاح) ١/ ٨٥٦ .

(٤) الفتح على أبي الفتح ١٩٨ .

يَفْعَلُ بِصَاحِبِهِ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ بِهِ صَاحِبُهُ» (١) ، وَالْمَتَنَّبِيُّ بِاسْتِخْدَامِهِ هَذِهِ الصِّيغَةَ يُعْطِي المَمْدُوحَ مَا يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَهُ مِنْهُ ؛ فَلَيْسَ مُرَادُهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يَقُولَ لَهُ أَنِّي إِذَا عَصَيْتُ هَذِهِ الهُمُومَ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ ، وَإِنْ أَطَعْتَهَا سَهَلَتْ (٢) ، بَلْ لَعَلَّهُ أَرَادَ بَيَانَ مُعَانَاتِهِ فِي مُحَاوَلَاتِ العِصْيَانِ وَالطَّاعَةِ ؛ فَالْمَفَاعَلَةُ تَكْشِفُ جَانِبًا مِنَ المَشَادَةِ النَّفْسِيَّةِ المَعْنَوِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الهُمُومِ ، وَهَذَا البَيَانُ لَا يَتَأْتِي بِمَجِيءِ الفِعْلِ عَلَى صِيغَةِ (فَعَل) .

وَنَحْوُهُ مَا ذَكَرَ ابْنُ سِيدِهِ فِي شَرْحِ المَشْكَلِ حِينَ عُلِّقَ عَلَى البَيْتِ الخَامِسِ وَالثَّلَاثِينَ :

إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مَنْ تَبَاكَى

قَالَ : « بَكَى : كِنَايَةٌ عَنِ الطَّبِيعِيِّ ، وَتَبَاكَى : كِنَايَةٌ عَنِ العَرَضِيِّ ؛ لِأَنَّ التَّفَاعُلَ قَدْ يَأْتِي لِغَرَضٍ ، لِإِظْهَارِ خِلَافٍ مَا الأَمْرُ بِهِ فِي الحَقِيقَةِ ، أَنشَدَ سَبِيوِيَه :

إِذَا تَخَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ

فَقَوْلُهُ (وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ) دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ . أَي : إِذَا اشْتَبَهَتْ الدُّمُوعُ فِي الخُدُودِ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الهَمَلَانِ وَسُرْعَةِ الجَرِيَانِ لَمْ يَكْ هُنَالِكَ بُدٌّ مِنْ فَصْلِ يُمَيِّزُ بَيْنَ العَرَضِيِّ وَالطَّبِيعِيِّ » (٣) .

وَمِنْ اسْتِعْمَالَتِهِ الَّتِي عَدَلَ بِهَا عَنِ الصِّيغَةِ الأُولَى بِنَاوُهُ الفِعْلِ لِلْمَجْهُولِ فِي البَيْتِ السَّادِسِ عَشَرَ :

وَهَذَا الشُّوقُ قَبْلَ البَيْنِ سَيْفٌ وَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكََا

(١) شرح كتاب سبويه للسيرافي ٢/ ٢٣٦ . ويصلح أن تأتي هنا لمعنى التكثير ، وهو من المعاني التي ترد لها صيغة المفاعلة ، ينظر : شرح ابن عقيل ٢/ ٥٥٤ .

(٢) ينظر : شرح الواحدي ٨٠٣ .

(٣) شرح المشكل ٣٣٦ .



فَظَاهِرُ الْبَيْتِ حَدِيثُهُ عَنِ شَوْقِهِ لِلْمَمْدُوحِ وَأَثَرِ الشُّوقِ فِيهِ قَبْلَ رَحِيلِهِ عَنْهُ ، وَلَكِنْ ثَمَّةَ مَلَمَحٍ آخَرَ ، وَهُوَ بِنَاؤُهُ الْفِعْلَ (ضَرَبَ) لِلْمَجْهُولِ ، وَكَأَنَّ فِيهِ إِمَاحًا إِلَى مَصِيرِهِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ وَهُوَ الْقَتْلُ وَالْهَلَاكُ - كَمَا ذَكَرَ فِي الْبَيْتِ الثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ - ، فَلَيْسَ الضَّرْبُ ضَرْبَ سَيْفِ الْبَيْنِ ، بَلْ هُوَ ضَرْبُ السَّيْفِ الَّذِي سَوْفَ يُقْتَلُ بِهِ بَعْدَ رَحِيلِهِ عَنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ تَوَقُّعَهُ وَتَطْيِيرَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَظَهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ السَّيْفِ قَبْلَ ضَرْبِهِ لِشِدَّةِ تَوَقُّعِهِ وَإِيمَانِهِ بِتَوَقُّعِهِ .

٤- كَلِمَاتٌ لَهَا عَلاَقَةٌ بِالزَّمَانِ :

إِلَى جَانِبِ هَذَا الْكَمِّ الْهَائِلِ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي اسْتَخَدَمَهَا الْمُتَنَبِّي فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَكَانَ لَهَا وَاضِحُ الْأَثَرِ فِي حُضُورِ الزَّمَانِ وَتَنَوُّعِ دِلَالَتِهِ ؛ فَقَدْ وَجَدَتْ فِي الْقَصِيدَةِ كَلِمَاتٌ غَيْرَ الْأَفْعَالِ (أَسْمَاءٌ) لَهَا ارْتِبَاطٌ بِالزَّمَانِ ، وَشَكَّلَتْ مَعَ الْمَجَاوِرَةِ الزَّمَانِيَّةِ الصَّادِرَةَ عَنِ الْأَفْعَالِ بَعْدًا دِلَالِيًّا مُهِمًّا ، وَمِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ :

أ/ ٤- كَلِمَةُ (الْبَقَاءِ) فِي الْبَيْتِ الثَّانِي :

فَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَ

« وَالْبَقَاءُ ضِدُّ الْفَنَاءِ » ^(١) ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُبَيِّنُ قِيَامَ الزَّمَانِ الْأَبَدِيِّ وَاسْتِمْرَارَهُ ، وَقَدْ صَنَعَتْ مَعَ كَلِمَاتِ الْبَيْتِ - الْأَفْعَالِ خَاصَّةً - مَعْنَى لَطِيفًا ، إِذْ يَرَى أَنَّ دُعَاءَهُ بِفِدَاءِ الْمَسَاوِي لِلْمَمْدُوحِ يَعْنِي (بَقَاءَ) الْأَعْدَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ دُونَهُ وَلَا يُسَاوُونَهُ ، فَالْفِعْلُ (يُسَاوِي) جَاءَ بِصِغَةِ الْمَضَارِعِ الدَّالِّ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ ، وَنَاسَبَهُ مَحْيَا كَلِمَةَ (الْبَقَاءِ) الدَّالَّةَ عَلَى اسْتِمْرَارِ حَيَاةِ الْأَعْدَاءِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُرْتَبِطٌ بِنَوْعِ الدُّعَاءِ ؛ فَامْتَنَعَ كُلُّ ذَلِكَ لِامْتِنَاعِهِ عَنِ الدُّعَاءِ بِالْفِدَاءِ مِنَ الْمَسَاوِي .

(١) لسان العرب (بقي) .



ب/ ٤- كَلِمَةٌ (رَحِيل) فِي الْبَيْتِ الْحَادِي عَشَرَ :

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَ

« وَالرَّحِيلُ اسْمُ ارْتِحَالِ الْقَوْمِ لِلْمَسِيرِ » (١) ، وَهُوَ بِمَعْنَاهُ هَذَا لَا يُفِيدُ دِلَالَةً زَمَانِيَّةً مُبَاشِرَةً ، وَإِنَّمَا لَهُ ارْتِبَاطٌ بِالزَّمَانِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ يَعْنِي انْقِضَاءَ وَقْتٍ مُعَيَّنٍ اخْتِيَارًا ، فَالرَّحِيلُ هُنَا كَانَ اخْتِيَارَ الْمُتَنَبِّيِّ بِلِ وَرَغْبَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَظْهَرَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ حِرْصَهُ عَلَى الْبَقَاءِ وَأَمَلَهُ بِالْعُودِ ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ غَيْرَ ذَلِكَ لِاخْتَارَ كَلِمَةً أُخْرَى كَالسَّفَرِ وَالظَّنِّ وَنَحْوِهِمَا ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ الْإِلْمَاحَ الْخَفِيَّ إِلَى رَغْبَةِ كَامِتَةٍ بَعْدَ الرُّجُوعِ ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَخْتَارُ انْتِهَاءَ زَمَانٍ كَانَتْ لَهُ مَيَزَاتٌ وَخَصَائِصٌ مُذْهَلَّةٌ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْلِ مِنْ اهْتِمَامِهِ غَيْرَ حُدِّ التَّعَجُّبِ ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي قَصِيدَةِ أُخْرَى سَبَقَتْ هَذِهِ الْكَافِيَّةَ ، وَمَدَحَ بِهَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ نَفْسَهُ ، وَجَعَلَ الْمَكَانَ فِيهَا مُشَبَّهًا الزَّمَانَ :

مَغَانِي الشُّعْبِ طِيَّافِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيِّعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ (٢)

وَهِيَ فَلَسَقَةٌ أَرَادَ الْمُتَنَبِّيُّ رِبْطَ أَجْزَائِهَا الْخَفِيَّةَ فِي الْقَصِيدَةِ الْكَافِيَّةِ .

ج/ ٤- كَلِمَةٌ (قَبْل) فِي الْبَيْتِ السَّادِسَ عَشَرَ :

وَهَذَا الشُّوقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ وَهَذَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَ

وَهَذَا الْبَيْتُ يُؤَكِّدُ الْمَعْنَى الْوَارِدَةَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي سَبَقَهُ :

أَرَى أَسْفِي وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَ

(١) لسان العرب (رحل) .

(٢) ديوانه بشرح الواحدي ٧٦٦ .



وَجَاءَتْ (قَبْلَ) فِي الْبَيْتِ مُخْتَصِرَةً كُلَّ مَعَانِي الْإِحْسَاسِ بِالْفَقْدِ قَبْلَ أَنْ يَحِينِ ، وَهُوَ مَعْنَى طَرِيفٌ
تَنَاوَلَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ ، كَقَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ رضي الله عنه :

هَلْ حَبِلَ رَمْلَةٌ قَبْلَ الْبَيْنِ مَبْتُورٌ أَمْ أَنْتَ بِالْحِلْمِ بَعْدَ الْجَهْلِ مَعْدُورٌ (١)

وَمِنْهُ قَوْلُ أَشْجَعِ السُّلَمِيِّ :

فَهَا أَنْتَ تَبْكِي وَهُمْ جِيرَةٌ فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا (٢)

غَيْرَ أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ قَصَدَ الْمَعْنَى مِنْ جِهَةٍ تَتَّسِمُ بِالْحِدَّةِ الَّتِي تَتَنَاسَبُ مَعَ طَبِيعَتِهِ الْمَفْعَمَةِ بِالشَّجَاعَةِ ؛
فَلَمْ يَأْتِ بِلَفْظَةِ (الْحَبْلِ) وَنَحْوِهِ ، بَلْ جَاءَ بِالسَّيْفِ وَضَرْبَتِهِ وَأَثَرِهَا (قَبْلَ) الرَّحِيلِ ، وَرُبَّمَا عَكَسَ
بِذَلِكَ حِدَّةَ شُعُورِهِ الْمُتَبَايِنِ تُجَاهَ رَحِيلِهِ .

د/ ٤ - كَلِمَةٌ (غَدًا) فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ وَالثَّلَاثِينَ :

أَغْرَلَهُ شَمَائِلُ مَنْ أَبِيهِ غَدًا يَلْقَى بُنُوكَ بِهَا أَبَاكَ

وَاسْتِخْدَامُهُ لِلْفِظِ الْغَدِ فِي سِيَاقِ مَدْحِ الْأَبْنَاءِ - الْمُقْتَضِي مَدْحَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ - لِشَبَابِهِمْ أَبَاهُ إِشَارَةٌ
إِلَى قُرْبِ حُدُوثِ ذَلِكَ (٣) ؛ فَالْغَدُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ يَوْمِكَ ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الْقَرِيبُ مِنَ الزَّمَانِ ،
وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿ سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرُءِ ﴾ (٤) .

وَفِيهِ أَنَّ وَقْتَ إِدْرَاكِهِمْ شَبَهَ أَبِيهِ قَرِيبٌ ، ثُمَّ يَعْقِبُهُ إِدْرَاكُهُمْ شَبَهَهُ ، وَفِي هَذَا مَدْحٌ لَهُ بِالْفَوْقِيَّةِ عَلَى

(١) ديوانه ٣٩ .

(٢) ديوانه ٥٣ ، وقد ذكر البيت شُراح ديوان المتنبي .

(٣) ينظر : اللامع العزبي (المولوي) ٢ / ٨٦٤ ، (الفلاح) ١ / ٨٥٩ .

(٤) ينظر : لسان العرب (غدا) ، والآية ٢٦ من سورة القمر .



أصله وفرعه .

هـ / ٤ - كَلِمَةٌ (هَلَاكَا) فِي الْبَيْتِ الثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ :

وَأَيَّا شِئْتِ يَا طَرْقِي فَكُونِي أَدَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَا

وَالهَلَاكُ : المَوْتُ (١) ، وَيَعْنِي هُنَا تَوَقُّفَ الزَّمَانِ وَالْوَقْتِ عَنِ الْحَرَكَةِ ؛ لِانْتِهَاءِ عُمُرِ الْإِنْسَانِ ، وَفِي الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ خِيَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي يُفِيدَانِ حَرَكَةً تُصَاحِبُ الزَّمَانَ (أَدَاةً أَوْ نَجَاةً) ، وَالثَّلَاثُ (هَلَاكَا) يُفِيدُ مَعْنَى تَوَقُّفِ الْحَرَكَةِ وَانْتِهَاءِ زَمَانِ الْخِيَارَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، وَالْحَيَاةُ تَجْرِي بِأَحَدِ الْأَوَّلَيْنِ إِلَى الثَّلَاثِ ؛ إِمَّا بِتَعَبٍ يَنْتَهِي إِلَى هَلَاكِ ، أَوْ بِسَعَادَةٍ تَوُؤُلُ وَصَاحِبَهَا إِلَى الْهَلَاكِ ! وَعَلَى ذَلِكَ فَتَقْسِيمُهُ لِلزَّمَانِ بِحَرَكَتِهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَمِيقُ الدَّلَالَةِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ الْأَخِيرَ « فَتَطْيَّرْ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ لَوْ لَمْ يَقْلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ لِيَدْفَعَ ذَلِكَ عَنْهُ الْقَدَرُ ، وَلَكِنَّهُ مَا كَانَ لِيُثَبِّتَهُ لَوْ أَحَسَّ بِقَلْبِهِ الْوَاعِي مَا قَدَ وَصَلَ إِلَيْهِ فِيهِ قَلْبُهُ مِنْ طَرِيقٍ كَأَنَّهُ كُشِفَ » (٢) .

و / ٤ - كَلِمَتَا (تَشْرِينِ ، السَّمَاكَا) فِي الْبَيْتِ التَّاسِعِ وَالثَّلَاثِينَ :

فَلَوْ سِرْنَا وَفِي تَشْرِينِ خَمْسٌ رَأُونِي قَبْلَ أَنْ يَرَوْا السَّمَاكَا

فَالْأَوَّلَى (تَشْرِينِ) دَالَّةٌ عَلَى زَمَنِ مُعَيَّنٍ ، وَهُوَ اسْمُ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ الْخَرِيفِ بِالرُّومِيَّةِ ، وَهُمَا تَشْرِينَانِ (٣) ، وَالثَّانِيَةُ (السَّمَاكَا) ، وَهُمَا سِمَاكَانِ : نَجْمَانِ نَيْرَانِ ، أَحَدُهُمَا السَّمَاكُ الْأَعَزْلُ وَالْآخَرُ

(١) ينظر : لسان العرب (هلك) .

(٢) عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب ٧٩٦ / ٤ .

(٣) ينظر : لسان العرب (تشر) .



السَّمَاءُ الرَّامِحُ ، وَطُلُوعُ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ مَعَ الْفَجْرِ يَكُونُ فِي تَشْرِينِ الْأَوَّلِ (١) .

وَارْتِبَاطُ الْكَلِمَتَيْنِ بِبَعْضِهِمَا فِي الْبَيْتِ مُرَادُ الْمُنْتَبِي لِلْمُبَالَغَةِ فِي تَصْوِيرِ سُرْعَةِ سَيْرِهِ ، وَهُوَ فَرْعٌ مِمَّا تَضَمَّنَهُ الْبَيْتُ قَبْلَهُ (وَأَيًّا شِئْتَ يَا طُرْقِي فَكُونِي ...) ، فَهُوَ يَقْصِدُ إِلَى أَنَّهُ لَوْ بَدَأَ مَسِيرَهُ بَعْدَ بَدَايَةِ تَشْرِينِ بَحْمَسِ لَيَالٍ لَوْصَلَ الْكُوفَةَ قَبْلَ ظُهُورِ السَّمَاءِ ، « وَإِنَّمَا يَطْلُعُ السَّمَاءُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ » (٢) ، وَهَذَا مُحَالٌ عَقْلًا ، لَكِنَّهُ مِنْ مُبَالَغَاتِ الْمُنْتَبِي الْمَعْرُوفَةِ .

٥- الْحَرَكَةُ فِي الزَّمَنِ :

قَامَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ عَلَى مَادَّةِ الرَّحِيلِ وَالْوَدَاعِ ، وَهُمَا يُشْكِلَانِ عِنْدَ الْمُنْتَبِي فِيهَا انْتِهَاءَ أَمَدٍ بِقَائِهِ فِي الْحَيَاةِ وَوُصُولَهُ إِلَى آخِرِ مَرَاجِلِهِ فِيهَا ، وَقَدْ صَحَبَ هَذَا الْمَعْنَى جُمْلَةً مِنَ الْأَدَاءَاتِ فِي الْقَصِيدَةِ حَوَّلَتْهَا إِلَى رَوَاحِلَ تَسِيرُ بَلْ لَا تَكْفُ عَنِ السَّيْرِ وَالْحَرَكَةِ ، وَهَذَا مِمَّا أَكْسَبَهَا السَّيْرُورَةَ وَالذَّبُوعَ وَتَفَاعَلَ الْمَتَلَقِّي عِبْرَ الْأَزْمَنَةِ الطَّوِيلَةِ ، وَلَعَلَّهَا صَدَقَتْ مَا قَالَهُ الشُّرَاحُ حَوْلَ تَطْيِيرِ الْمُنْتَبِي عَلَى نَفْسِهِ ، « وَأَنَّهَا كَانَتْ صَرْحَةً صَادِقَةً وَتَعْبِيرًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ عَنِ إِحْسَاسِ قَائِلِهَا بِقُرْبِ مَصْرَعِهِ » (٣) .

« وَتَتَجَلَّى مَلَامِحُ الصَّرَاعِ مَعَ الزَّمَنِ عِنْدَ الْمُنْتَبِي مِنْ خِلَالِ الْإِحْسَاسِ بِحَرَكَةِ الزَّمَنِ وَتَحَوُّلَاتِهِ الْمُسْتَمِرَّةِ ، وَمَا يَتَرَكُهُ مِنْ تَأْثِيرٍ عَلَى الذَّاتِ » (٤) .

وَالْحَرَكَةُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ لَهَا مُثِيرَاتٌ كَثِيرَةٌ ، كَالْأَفْعَالِ الَّتِي أَحْصَيْتُهَا فِي هَذَا الْبَحْثِ وَذَكَرْتُ أَبْرَزَ مَلَامِحِ دِلَالَتِهَا ، وَهِيَ إِمَّا مُتَعَلِّقَةٌ بِمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي تَرَدُّ فِيهِ أَوْ بِعُمُومِ سِيَاقِ الْقَصِيدَةِ .

(١) ينظر : لسان العرب (سمك) .

(٢) الوساطة بين المنتبي وخصومه ٣٩٦ .

(٣) إبراهيم البطشان ، كافيّة المنتبي الأخيرة وإشارات تنبؤ بالرحيل ٥٦١ .

(٤) مفلح الحويطات ، شعرية الصراع ١٢٧ .



وَتَمَّةٌ أَيْبَاتٌ شَكَلَتْ بِأَجْزَائِهَا الْمَخْتَلِفَةَ حَرَكَةً زَمَنِيَّةً تَدُورُ حَوْلَ مَعْنَى الرَّحِيلِ ، وَهَذِهِ الْأَيْبَاتُ هِيَ :
(٨ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) .

وَسَأَتَطَرَّقُ لِثَلَاثَةِ مُسْتَوِيَّاتٍ مِنْ مُسْتَوِيَّاتِ حَرَكَةِ الرَّحِيلِ الْمَحْدَثَةِ فِي الزَّمَنِ تَحَوُّلاً أَوْ تَجَدُّدًا .

أ / ٥ - فِي الْبَيْتِ الْعَاشِرِ :

أَحَاذِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَيَّ الْمَطَايَا فَلَا تَمَشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَ

يُجَسِّدُ الْمَتَنَّبِيُّ بَطْءَ الزَّمَنِ فِي مُتَضَمَّنِ حَدِيثِهِ عَنِ الرَّحِيلِ ، وَإِنْ جَاءَ هَذَا فِي سِيَاقِ الْمَدِيحِ وَشُكْرِ الْمَمْدُوحِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَحْمِلُ مَعْنَى الثَّقَلِ الَّذِي يُحَسُّ بِهِ الْمَتَنَّبِيُّ دَاخِلَ نَفْسِهِ ، وَهُوَ نَفْسٌ ظَاهِرٌ فِي الْقَصِيدَةِ ، يُبَيِّنُ اسْتِثْقَالَهُ لِلرَّحِيلِ مَعَ رَغْبَتِهِ فِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْاسْتِثْقَالُ لِلرَّغْبَةِ فِي الْمَقَامِ ، وَإِنَّمَا لِتَعْبِهِ مِنَ الْحَيَاةِ وَتَهْدُمِ أَحْلَامِهِ وَأَمَانِيهِ .

ب / ٥ - وَفِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ عَشَرَ :

أَرَى أَسْفِي وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَ

فَهُمَا حَرَكَتَانِ أَوْ نَمَطَانِ لِلسَّيْرِ ؛ ابْتِدَاءً بِالسَّيْرِ الْهَادِي الَّذِي يَتَنَاسَبُ مَعَ لَحْظَاتِ الْوَدَاعِ الْمَصَاحِبَةِ لِلتَّرَدُّدِ وَاسْتِثْقَالِ الْمَسِيرِ ، ثُمَّ سَيْرٌ شَدِيدٌ سَرِيعٌ يَجِدُّ فِيهِ الْمَسَافِرُ نَحْوَ غَايَتِهِ ، وَهَذَا نَمَطَانِ تَمْهِيدٌ لِلْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ فِي الْبَيْتِ التَّالِي (وَهَذَا الشُّوقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ ...) وَإِنْ لَمْ يَحْمِلْ مَعْنَى حَرَكَةِ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ أَدَّى حَرَكَةً أُخْرَى يَفْتَضِيهَا السَّيْرُ وَهِيَ الْبَيْنُ وَضَرْبُهُ وَأَثَرُهُ .

ج/ ٥- في البيت الثالث والأربعين :

وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ
يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَ

فيه تجسيدٌ عجيبٌ لسُرعةِ الزَّمنِ ، قال ابنُ جنِّي : « لَمْ يُقَلِّ فِي سُرْعَةِ الْأُوبَةِ وَتَقْلِيلِ اللَّبْثِ كَهَذَا فِي الْمَبَالِغَةِ » (١) . وَكَأَنَّهُ يُلَخِّصُ رِحْلَتَهُ فِي الْحَيَاةِ بِهَذَا التَّشْبِيهِ الْبَدِيعِ الْقَائِمِ عَلَى الْحَرَكَةِ ، وَ« مِمَّا يَزِدَادُ بِهِ التَّشْبِيهُ دِقَّةً وَسِحْرًا أَنْ يَجِيءَ فِي الْهَيْئَاتِ الَّتِي تَقَعُ عَلَى الْحَرَكَاتِ » (٢) ، بَلْ وَاعْتَمَدَ فِيهِ عَلَى حَاسَّةِ الْبَصْرِ مَكُونًا صُورَةً مُعَبَّرَةً بِدِقَّةٍ عَنِ سُرْعَةِ الزَّمنِ ، وَ« الزَّمنِ الْبَصْرِيُّ يَجْرِي بِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ » (٣) ؛ فَكَأَنَّهُ سَهْمٌ أُطْلِقَ فِي الْهَوَاءِ (وَهُنَا سُرْعَةُ الزَّمنِ وَسُرْعَةُ سَيْرِهِ فِي الْحَيَاةِ وَسُرْعَةُ قَطْعِهِ لِمَدَاهَا) ، ثُمَّ عَادَ إِلَى نُقْطَةِ النِّهَايَةِ دُونَ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ مَا انْطَلَقَ لِأَجْلِهِ فِي الْحَيَاةِ مِنْ أَحْلَامٍ (يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَ) ، وَلَيْسَتْ نُقْطَةُ النِّهَايَةِ إِلَّا مُنْطَلَقَ الرَّحْلَةِ ، فَكَمَا بَدَأَ انْتَهَى ، وَهَذَا فِي مُنْتَهَى الْحَيَاةِ وَالْحِرْمَانِ ، وَأَدَاؤُهُ يَحْكِي غَايَةَ الْمَلَلِ بَلْ وَالِاسْتِسْلَامِ .

(١) الفسر ٢/ ٦٥٥ .

(٢) أسرار البلاغة ١٨٠ .

(٣) غاستون باشلار ، جدلية الزمن ١١٦ .

الختار :

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَمَلِيَّةَ الْإِبْدَاعِيَّةَ بِاخْتِلَافِ مُنَشِئِهَا وَعُصُورِهِمْ الثَّقَافِيَّةَ وَظُرُوفِهِمُ الْبَيْئَةَ وَالاجْتِمَاعِيَّةَ تَظَلُّ حَمَالَةً قِرَاءَاتٍ وَافْتِرَاضَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَإِنَّمَا مَحَلُّ ذَلِكَ الْقُدْرَةُ عَلَى مُحَاوَلَةِ التَّلَقِّي بِمَا يَسْتَصْحِبُهُ الْقَارِئُ مِنْ تَمَامِ الْأَدَاةِ وَدِقَّةِ النَّظْرِ .

وَالْمَتَنَّبِيُّ كَانَ وَلَا يَزَالُ مِنْ أَهَمِّ مَوَاطِنِ النَّظْرِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّأْوِيلِ لَدَى الدَّارِسِينَ ، وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ الْأَحْكَامَ حَوْلَ شِعْرِهِ وَشَاعِرِيَّتِهِ وَفَقَّ مَشَارِبَ مُخْتَلِفَةٍ بَلْ وَمُتَبَايِنَةٍ أَيْضًا ، وَقَصَدَتْ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الْوُقُوفَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي بَثَّهَا فِي خِتَامِ شِعْرِهِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَخَبَرَ النَّاسَ ، وَاسْتَعَدَّ لِلرَّحِيلِ عَنِ الْحَيَاةِ ، وَقَدْ أَدَّى فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ذَلِكَ الْاضْطِرَابَ الْمَصَاحِبَ لِهَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْمَهْمَةَ مِنْ حَيَاتِهِ وَشِعْرِهِ .

وَاسْتَنْطَقَ الْمَتَنَّبِيُّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الزَّمَانَ بِأَبْعَادِهِ الْمُخْتَلِفَةِ وَوَضَفَهُ تَوْظِيْفًا كَثِيفًا مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ وَالذَّلَالَةُ ، وَقَدْ اسْتَقَامَ لِلنَّاظِرِ شَيْءٌ مِنْ حُكْمِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى خَاصِّيَّةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَخَبَرِهَا الْوَدَاعِيِّ .

وَأَيًّا مَا كَانَ الْأَمْرُ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُجَاوِزُ رُبَّةَ الْمُحَاوَلَةِ فِي التَّأَمُّلِ وَرَفَعَ سُتْرَ الْمَعَانِي الْأُولَى لِلْوُصُولِ نَحْوَ التَّحْلِيلِ .



المصادر والمراجع :

أولا : الكتب :

١. - الأزمنة والأمكنة ، أبو علي المرزوقي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .
٢. - أسرار البلاغة ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، دار المدني ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ .
٣. - البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ .
٤. - التبيين في شرح الديوان ، المنسوب للعكبري ، تحقيق د. كمال طالب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨ .
٥. - جدلية الزمن ، غاستون باشلار ، ترجمة خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ .
٦. - دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، مصر وجدة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ .
٧. - ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح العلامة الواحدي ، عناية فريدخ ديتريشي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٢٧٧ / ١٨٦١ .
٨. - ديوان أشجع بن عمرو السلمي ، جمع خليل الحسون ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ .
٩. - ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه ، تحقيق علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ .
١٠. - الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي ، د. حيدر لازم مطلق ، دار صفا ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ .



١١. - سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، تحقيق محمد أيمن الشبراوي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧ .
١٢. - شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٦ .
١٣. - شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ .
١٤. - شرح المشكل من شعر المتنبي ، ابن سيده ، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ .
١٥. - شرح مشكلات ديوان شعر أبي الطيب المتنبي (الفتح على أبي الفتح) ، ابن فورجة ، تحقيق د. عبد الله الفلاح ، نادي القصيم الأدبي ، بريدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٤٠ .
١٦. - شرح المفصل للزمخشري ، ابن يعيش ، اعتنى به د. إميل يعقوب ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ .
١٧. - شعرية الصراع (مقارنة نصية في شعر المتنبي) ، د. مفلح الحويطات ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٨ .
١٨. - الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، الشيخ يوسف البديعي ، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبد زيادة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
١٩. - الصفوة في معاني شعر المتنبي وشرحه ، أبو اليمن الكندي ، تحقيق د. عبد الله الفلاح ، النادي الأدبي بالرياض ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ .
٢٠. - الفسر ، ابن جني ، تحقيق د. رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .
٢١. - الفسر الصغير ، ابن جني ، تحقيق د. عبد العزيز ناصر المانع ، مركز الملك فيصل للبحوث



- والدراسات الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩ .
- ٢٢ . -قشر الفسر ، أبو سهل الزوزني ، تحقيق د. رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .
- ٢٣ . -قشر الفسر ، أبو سهل الزوزني ، تحقيق د. عبد العزيز ناصر المانع ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ .
- ٢٤ . -الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، عني به نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣ .
- ٢٥ . -لسان العرب ، ابن منظور ، مراجعة وتدقيق د. يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ .
- ٢٦ . -اللامع العزيزي ، أبو العلاء المعري ، تحقيق د. عبد الله الفلاح ، دار الصحوة ، ١٤٣٦ .
- ٢٧ . -اللامع العزيزي ، أبو العلاء المعري ، تحقيق محمد سعيد المولوي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢ .
- ٢٨ . -اللغة وبناء الشعر ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ .
- ٢٩ . -المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تعليق د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانه ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
- ٣٠ . -المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله الطيب ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ .
- ٣١ . -معجز أحمد ، أبو العلاء المعري ، تحقيق د. عبدالمجيد دياب ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢ .
- ٣٢ . -مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ابن هشام ، تحقيق د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ،



- راجعته : سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ .
- ٣٣ .- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق علي البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ .
- ٣٤ .- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق د. يوسف طویل ، د. مريم طویل ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ .

ثانياً: المجلات :

- ١ . أبعاد عصرية في شعر المتنبي ، حاتم محمد ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، عدد ٣ ، سنة ١٩٧٦ .
- ٢ . كافيّة المتنبي الأخيرة وإشارات تنبؤ بالرحيل ، د. إبراهيم بن محمد البطشان ، مجلة عالم الكتب ، المجلد ٢٨ ، عدد ٥-٦ ، الربيعان / الجماديان ١٤٢٨ .

